كتاب

فضل الكلاب

على كثير ممن لبس الثياب

تصنيف الشيخ الامام العلامة أبى بكر محمد بن خلف
ابن المرزبان . روايه أبى عمر محمد بن العباس
ابن محمد بن زكريا بن حيويه
الخزاعي رحمهم الله

(عنى بنشره)

ابراهيم يوسف

(النساخ بدار الكتب المصرية)



(يطلب من الناشر ومن جميع المكاتب الشهيرة)

(مطبعة محمود توفيق بمصر)

مقدمه الناشر

الحمد لله الذى ميز الانسان ، من الحيوان بالعقل واللسان ، والصلاة والسلام على صفوه العرفان ، سيدنا محمد سيد ولد عدنان ، صلي الله عليه مدى الزمان ، «امابعد» فلما كان بعض بنى الانسان يسير سيراً معوجا لايتفق مع العقل والدين ، مخالفا بذلك أمر رب العالمين ، منزلا نفسه منزلة الحيوان الاعجم ، الذى لايعقل ولايفهم .

ولما كان بعض الحيوان له من الصفات الحميدة المشكورة ، والافعال الغريبة المأثورة . مايؤهله لان يكون فى مرتبة بعض بنى الانسان مع ما منحهم الله من فصيح البيان . فسبحان من ألهم هذا الحيوان ، وجعله مصاحبا لأهل الكهف في الوديان

فقد رأيت بعد الاطلاع على كتاب « فضل الكلاب . على كثير ممن لبس الثياب » وموافقة كثير من رجال العلم والادب على ماجاء به من الحكم البالغة ، والمواعظ النافعة ، ان أقوم بطبعه خدمة للانسانية والآداب واهدائه لذوى القربى والأصحاب ، عسى ان يكون فى نشره عبرة وذكرى عملا بقوله تعالى «فذكر ان نفعت الذكرى » هذا واتماما للفائدة قد اضفت اليه بعض ماعثرت عليه من الموضوعات الخاصة بهذا الحيوان وشرح خصاله المحمودة التي جمعها الامام الشيخ حسن البصري رضى الله عنه و بعض شذرات تتعلق باراء بعض الفقهاء والادباء فى هذا الحيوان وجعلتها ذيلا لهذا الكتاب والله الموفق للصواب ، واليه المرجع والمآب ؟

الناشر

ابراهيم يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم وبه نستعين .

أنبأ الفقيه أبو موسى عيسى بن أبى عيسى القابسى قال أنبأ القاضى أبو القاسم على ابن المحسن بن على التنوخى قراءة عليه قال حدثنا أبو عمر محمد بن العباس ابن محمد بن زكريا بن حيويه الخراز ولفظه علينا في يوم الاربعاء الحادى عشر من رجب سنة إحدى وثمانين وثلثمائة أن أبا بكر محمد بن خلف بن المرزبان أخبرهم قال ذكرت أعزك الله زماننا هذا وفساد مودة أهله وخسة أخلاقهم ولؤم طباعهم وأن أبعد الناس سفراً من كان سفره فى طلب أخ صالح ومن حاول صاحبا يامن زلته ويدوم إغتباطه كان كصاحب الطريق الحيران الذى لايزداد لنفسه إتعابا الا إزداد من غايته بعداً فالامر كما وصفت وقد يروى عن أبي ذر الغفارى رضي الله عنه أنه قال كان الناس ورقا لاشوك فيه فصاروا شوكا لاورق فيه وقال بعضهم كنا نخاف على الاخوان كثرة المواعيد وشدة الاعتذار ان يخلطوا مواعيدهم بالكذب واعتذارهم بالتزيد فذهب اليوم . من يعتذر بالخير ومات من كان يعتذر من الذنب قال لبيد

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

وأخبرنا أبو العباس المبرد قال حدثني بعض مشايخنا قال كنت عند بشر بن الحارث يوما فرأيته مغموماً ما تكلم حتي غربت الشمس ثم رفع رأسه فقال

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم والمنكرون لكل أمر منكر
و بقيت فى خلف يزين بعضهم بعضا ليدفع معور عن معور

وأنشدنا لغيره

ذهب الذين اذا رأوني مقبلا هشوا وقالوا مرحبا بالمقبل
وبقي الذين اذا رأوني مقبلا عبسوا وقالوا ليته لم يقبل

وقال آخر

ذهب الناس واستقلوا وصرنا خلفا فى أراذل النسناس
فى أناس تراهم العين ناسا فاذا خبروا فليسوا بناس

وقال آخر

ذهب الملح من كثير من النا س وماث الذين كانوا ملاحه
وبقى الأسمجون من كل صنف ليت ذا الموت منهم قد أراحه

وقال آخر

ذهب الذين اذا مرضت تجهلوا واذا جهلت عليهم لم يجهلوا
واذا أصبت غنيمة فرحوا بها واذا بخلت عليهم لم يبخلوا

وأنشدني أبو عبد الله السدوسي

ذهب الذين هم الغياث المسبل وبقى الذين هم العذاب المنزل
وتقطعت أرحام أهل زماننا فكأنما خلقت لئلا توصل
الناس مشتبهون من كشفته منهم كشفت عن الذى لا يحمل
أما الفقير فحاسد متفطر حسدا وأما ذو الثراء فيبخل

ويظن أن له بكثرة ماله فضلا عليك وغيره المتفضل

وقال آخر

ذهب الكرام فاصبحوا أمواتا ورقا تطيره الرياح رفاتا
وتبدلت عرصاتهم من بعدهم بسوى نبات الصالحين نباتا
وبقيت في دهر أحاذر شره وأخاف فيه من الطريق بياتا

وقال آخر

وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التى كنت تعرف
وما كل من تهوى يحبك قلبه ولا كل من صاحبته لك منصف

وقال آخر

ذهب الناس وانقضت دولة المجـــد فكل إلا القليل كلاب
ان من لم يكن على الناس ذئبا أكلته فى ذا الزمان الذئاب
غير أن الوجوه في صور النا س وأبدانهم عليها الثياب
لست تلقي الا كذوبا بخيلا بين عينيه للاياس كتاب

وقال اخر

ذهب الذين فضلوهم معلومة ولهم إذا قحط الزمان حنان
ذهبوا فليس لهم نظير واحد أفلا تراهم لا أبالك كانوا
لم يبق من أهل الفضائل والنهى الا فلان باسمه وفلان

وقال اخر

ذهب الذين عليهم وجدى وبقيت بعد فراقهم وحدى

سلف مضى وبقيت بعدهم　　وكذاك يذهب من أتى بعدي
تركوا الذي جمعوا لغيرهم　　وكذاك أتركه لمن بعدي

وقال أبو تمام

فلو رفعت سنات الدهر عنه　　والتقى عن منا كبه الدثار
لعدل قسمة الأيام فينا　　ولكن دهرنا هذا حمار

ولغيره

ذهب المفضلون والسلف المو　　فون بالعهد منهم والعقود
ثم خلفت في هباء من النا　　س أقاسيهم ودهر شديد
فيه ساد الرعاع حبة القلـــب والسيد استوى بالمسود
سمع للخنى صم عن الخـــير ينادون من مكان بعيد
فلو أن الامور كانت تفادى　　لفدينا المفقود بالموجود

أنشدنا لعلي بن العباس الرومي

ذهب الذين تهزهم مداحهم　　هز الكماة أعنة الفرسان
كانوا اذا مدحوا روا مافيهم　　فالاريحية منهم بمكان
والمدح يقدح قلب من هو أهله　　قدح المواعظ قلب ذى إيمان
فدع اللئام فما ثواب مديحهم　　الا ثواب عبادة الأوثان
كم قائل لى منهم ومدحته　　بمدائح مثل الرياض حسان
احسنت ويحك ليس فى واغا　　استحسن الحسنات فى ميزان

قال ولقيت اسماعيل بن بلبل يوما وهو راجل فقلت مالي اراك راجلا فقال

ارجلني قلة الكرام وكثرة المال في اللئام
وليس هذا علي وحدي هذا شقاء علي الانام

وسألتني اعزك الله تعالى ان اجمع لك ماجاء فى فضل الكلب على شرار الاخوان ، ومحمود خصاله في السر والاعلان، فقد جمعت مافيه كفايه و بيان، ولست اشك انك اعزك الله عارف بخبر عبد الله بن هلال الكوفى المجذوم صاحب الخاتم وخبر جاره لما سأله ان يكتب كتابا الى ابليس لعنه الله فى حاجة له فان كان العقل يدفع ذلك الخبر فهو مثل حسن يعرف مثله فى الناس فكتب اليه الكتاب واكده غاية التأكيد ومضى واوصل الكتاب الى ابليس فقرأه وقبله ووضعه على عينيه وقال السمع والطاعة لابى محمد فما حاجتك قال لى جار مكرم شديد الميل الىّ شفوق علي وعلى اولادى ان كانت لي حاجة قضاها او احتجت الى قرض اقرضني واسعفنى وان غبت خلفني فى اهلي وولدى يبرهم بكل مايجد اليه السبيل وابليس كلما سمع منه يقول هذا حسن وهذا جميل فلما فرغ من وصفه قال فما تحب ان افعل به قال اريد ان تزيل نعمته وتفقره فقد غاظنى امره وكثرة ماله وبقاؤه وطول سلامته فصرخ ابليس صرخة لم يسمع مثلها منه قط فاجتمع اليه عفاريته وجنده وقالوا ما الخبر ياسيدهم ومولاهم فقال لهم هل تعلمون ان الله عز وجل خلق خلقا هم شر مني ولو فتشت في دهرنا هذا لوجدت مثل

صاحب الكتاب كثيرا ممن نعاشره اذا لقيك رحب بك واذا غبت عنه اسرف فى الغيبة وتلقاك بوجه المحبه ويضمر لك الغش والمسبة وقد علمت ماجاء فى الغيبة قال صلى الله عليه وسلم من كان له وجهان فى الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فانها شر من الزنا ان الرجل ليزنى ويتوب فيتوب الله عليه وصاحب الغيبة لايغفرها الله له حتى يغفرها صاحبها، وعن بشر بن الحارث قال قال الفضيل بن عياض لايكون الرجل من المتقين حتى يامنه عدوه ولا يخافه صديقه فقال بعضهم ذهب زمن الانس ومن كان يعارض فاحتفظ من صديقك كما تحتفظ من عدوك وقدم الحزم فى كل الامور واياك ان تكاشفه سرك فيجاهرك به فى وقت الشر انشدنى زيد بن على

احذر مودة مازق   خلط المرارة بالحلاوة
يحصي الذنوب عليك أيا   م الصداقة للعداوة

وقيل لبعض الحكماء اى الناس احق ان يتق قال عدو قوى وسلطان غشوم وصديق مخادع وانشد لدعبل بن على الخزاعى :

عدو راح فى ثوب الصديق   كشربك فى الصبوح وفى الغبوق
له وجهان ظاهره ابن عم   وباطنه ابن زانية عتيق
يسرك مقبلا ويسؤك غيبا   كذاك تكون أولاد الطريق

لكثير عزه

أنت في معشر اذا غبت عنهم   جعلوا كلما يزينك شينا
واذا مارأوك قالوا جميعا   أنت من أكرم الرجال علينا

انشدني ابن أبي طاهر الكاتب

حال عما عهدت ريب الزمان واستحالت مودة الاخوان

واستوي الناس في الخديعة والمكـــر فكل لسانه اثنان

واعلم أعزك الله ان الكلب لمن يقتنيه اشفق من الوالد على ولده والاخ الشفيق على أخيه وذلك انه يحرس ربه ويحمي حريمه شاهدا وغائبا ونائما ويقظانا لا يقصر عن ذلك وان جفوه ولا يخذلهم وان خذلوه وروي لنا ان رجلا قال لبعض الحكماء أوصني قال ازهد في الدنيا ولا تنازع فيها أهلها وانصح لله تعالى كنصح الكلب لاهله فانهم . يجيعونه ويضربونه ويأبى الا ان يحوطهم نصحا وروى عمر بن شعيب عن أبيه عن جده . قال رآى رسول الله صلي الله عليه وسلم رجلا قتيلا فقال ماشأن هذا الرجل قتيلا فقالوا يارسول الله صلي الله عليك وسلم وثب على غنم أبي زهرة فاخذ شاة فوثب عليه كلب الماشية فقتله فقال صلي الله عليه وسلم قتل نفسه وأضاع دينه وعصي ربه عز وجل وخان اخاه وكان الكلب خيراً من هذا الغادر ثم قال صلى الله عليه وسلم أيعجز أحدكم أن يحفظ أخاه المسلم في نفسه واهله كحفظ هذا الكلب ماشية أربابه ورأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعرابيا يسوق كلبا فقال ماهذا معك فقال ياامير المؤمنين نعم الصاحب ان أعطيته شكر وان منعته صبر قال عمر نعم الصاحب فاستمسك به ورأي ابن عمر رضي الله عنه مع اعرابي كلبا فقال له ماهذا معك قال من يشكرني ويكتم سري قال فاحتفظ بصاحبك * قال الاحنف بن قيس اذا بصبص الكلب لك فثق بود منه ولا تثق ببصابص الناس فرب مبصبص

خوان قال الشعبي خير خصلة فى الكلب انه لاينافق فى محبته ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما كلب أمين خير من انسان خؤون ، حدثنا القاسم بن محمد الرصدى حدثنا محرز بن عون عن رجل عن جعفر بن سليمان قال رأيت مالك بن دينار ومعه كلب فقلت ماهذا قال هذا خير من جليس السوء * أخبرنا ابو عمر ابن خيرة حدثنا بو القاسم ابن بنت منيع حدثنا محرز بن عون بهذا الحديث حدثنى ابن أبى طاهر حدثني حماد بن اسحاق بن ابراهيم الموصلى قال قال أبي قال اتيت يوما الفضل بن يحي فصادفته بشرب وبين يديه كلب فقلت له اتنادم كلبا قال نعم يمنعني اذاه ويكف عنى اذى سواه ويشكر قليلي ويحرس مبيتى ومقيلي انشدني الحسن بن عبد الوهاب لرجل يذم صديقا له ويمدح كلبا

تخيرت من الأخلا ق ماينفى اعن الكلب
فان الكلب مجبول على النصرة والذب
وفى يحفظ العهدا ويحمى عرصة الدرب
ويعطيك على اللين ولا يعطى علي الضرب
ويشفيك من الغيظ وينجيك من الكرب
فلو أشبهته لم تـ ك كانونا على القلب

وذكر بعض الرواة قال كان للربيع بن بدر كلب قد رباه فلما مات الربيع ودفن جعل الكلب يتضرب على قبره حتى مات وكان للعامر بن عنترة كلاب صيد وماشية وكان يحسن صحبتها فلما مات عامر لزمت الكلاب قبره حتى ماتت عنده وتفرق عنه الاهل والاقارب وروى لنا عن شريك قال كان للاعمش

كلب يتبعه فى الطريق اذا مشي حتى يرجع فقيل له فى ذلك فقال رأيت صبيانا يضربونه ففرقت بينهم وبينه فعرف ذلك لي فشكره فاذا رآنى يبصبص لى ويتبعنى ولو عاش (ايدك الله) الأعمش الي عصرنا ووقتنا هذا حتى يرى اهل زماننا هذا ويسمع خبر ابي سماعة المعيطى ونظائره لازداد فى كلبه رغبة وله محبة قال هجا أبو سماعة المعيطى خالد بن مالك . وكان اليه محسنا فلما ولي يحى الوزارة دخل اليه ابو سماعة فيمن دخل من المهنئين فقال أنشدنى الأبيات التى قلتها فقال ماهي قال قولك

زرت يحي وخالدا مخلصا لله دبني فاستصغرا بعض شاني
فلو أني الحدت فى الله يوما أو لو انى عبدت مايعبد ان
مااستخفا فيما اظن بشاني ولا صبحت منهما بمكاني
ان شكلي وشكل من جحد الله واياته لمختلفان

قال ابو سماعة لم أعرف هذا الشعر ولا من قاله قال له يحي ماتملك صدقة ان كنت تعرف من قالها فحلف فقال يحي وامرأتك طالق فحلف فاقبل يحي على الغسانى ومنصور بن زياد والاشعثي ومحمد بن محمد العبدى وكانوا حضورا فى المجلس فقال ماحسبنا الا وقد احتجنا الى ان نجدد لابى سماعة منزلا وآلة وحرما ومتاعا ياغلام ادفع له عشرة آلاف درهم وتختا فيه عشرة اثواب فدفع اليه فلما خرج تلقته أصحابه يهنئونه ويسئلونه عن امره فقال ماعسيت ان أقول الا انه ابن زانية ابى الا كرما فبلغت يحي كلمته من ساعته فامر به فحضر فقال له ياابا سماعة لم تفرق فى هجائنا ولم تعرف في شتمنا

قال له ابو سماعة ماعرفته أيها الوزير إفتراء وكذب على فنظر الى يحي مليا ثم أنشأ يقول

اذا ما المرء لم يخدش بظفر ولم يوجد له ان عض ناب
رمى فيه الغميزة من بغاها وذلل من قرائنه الصعاب

قال ابو سماعة كلا ايها الوزير ولكنه كما قال

لم يبلغ المجد أقوام وان شرفوا حتى يذلوا وان عزوا لاقوام
و يشتموا فترى الالوان مسفرة لاصفح ذل ولكن صفح أحلام

فتبسم يحي وقال إنا عذرناك وعلمنا أنك لن تدع مساوي شتمك ولؤم طبعك فلا أعدمك الله ماجبلك عليه من مذموم اخلاقك ثم تمثل قائلا

متى لم تتسع أخلاق قوم يضق بهم الفسيح من البلاد
اذاما المرء لم يخلق لبيبا فليس الاب عن قدم الولاد

ثم قال هو والله كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه المؤمن لا يشفي غيظه ثم أن أبا سماعة هجا بعد ذلك سليمان بن ابي جعفر وكان اليه محسناً فأمر به الرشيد فحلق رأسه ولحيته ومثل أبي سماعة كثير كرهنا أن نطول الكتاب بذكرهم وروي عن بعضهم أنه قال الناس فى هذا الزمان خنازير فاذا رأيتم كلبا فتمسكوا به فانه خير من أناس هذا الزمان

قال الشاعر

اشدد يديك بكلب اذ ظفرت به فاكثر الناس قدصار واخنازيرا

أنشدني أبو العباس الازدي

لكلب الناس ان فكرت فيهم   اضر عليك من كلب الكلاب
لأن الكلب تخسؤه فيخسأ   وكلب الناس يربض للعتاب
وان الكلب لايؤذى جليسا   وانت الدهر من ذا فى عذاب

حدثنا أحمد بن منصور عن أبيه عن الاصمعي قال حضرت بعض الأَعراب الوفاة وكلب فى جانب خيمته فقال لأَكبر ولده أوصيك خيرا به فان له صنائع لا أزال أحمدها يدل ضيفى على فى غسق الليل اذ النار نام موقدها أخبرني أبوا الفضل أحمد بن أبي طاهر قال أخبرنى بعض الادباء قال كان لابراهيم بن هرمة كلاب اذا أبصرت الأَضياف بشت لهم ولم تنبح وبتبصت باذنابها بين أيديهم فقال يمدحها

ويدل ضيفى في الظلام إذا سرى   إيقاد ناري أو نباح كلاب
حتى اذا واجهته وعرفته   فديته ببصابص الأَذناب
وجملن مما قد عرفن يقدنه   ويكدن ان ينطقن يالترحاب

قال سمعت بعض الملوك وهو يركض خلف كلب وقددنا من ظبي وهو يقول من الفرح ايه فدتك نفسي وقال أبو النواس

مفديات ومحمياتها   مسميات ومعلماتها

وله أيضا

اتعب كلبا أهله فى كده   قد سعدت جدودهم بجده
فكل خير عندهم من عنده   يظل مولاه له كعبده

يبيت أدنى صاحب من مهده ... وان غـدا جلله ببرده
ذى غرة محجـل بزنده ... تلذ منه العين حسن قده
ياحسن شدقه وطول خده ... تلقي الظباء عتنا من طرده
يالك من كاب نسيج وحده

وله فى هذا المعنى أشياء حسان ومعان مختارة ومما يدل على قدر الكلب كثرة مايجرى على السنة الناس بالخير والشر والمدح والذم حتى قد ذكر في القرآن وفى الحديث وفى الأشعار والامثال حتى استعمل على طريق الفأل والطيرة والاشتقاقات للاسماء فمن ذلك أكلب بن ربيعة وكلاب بن ربيعة ومكلب بن ربيعة ابن نزار وكليب بن يربوع ومكالب بن ربيعة بن قذار وكلاب ابن يربوع ومثل هذا كثير والكلب أيدك الله منافعه كثيرة فاضلة علي مضاره بل هي غامرة لها وغالبة عليها ولم تزل القضاة والفقهاء والعباد والولاة والنساك الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لاينكرون اتخاذها فى دورهم مع ذلك يشاهدونها فى دور الملوك فلو علموا أن ذلك يكره لتكلموا ونهوا عن إتخاذها بل عندهم أنهم اذا قتلوا الكلب كان فيه عقوبة وان من كان أمر بقتلها في قديم الزمان انما كان لمعنى ولعلة وان هذه الكلاب بمعزل عن تلك، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من لايعرف الامور يقول ان الكلب من السباع ولو كان كذلك ماألف الناس واستوحش من السباع وكره الغياض والف الدور واستوحش من البرارى وجانب القفار والف المجالس والديار وكيف لايكون كذلك وهو لايرضي لنفسه بالنوم والربوض على الارض وهو لايرى بساطا ولا وسادة الا علاها وجلس عليها

وايضا فهو لا يجد الى كل موضع جليل نظيف سبيلا فيقصر عنه وتراه متخيرا ابداً ارفع المواضع فى المجلس وما يصونه صاحبه قلت والكلب يعرف صاحبه والسنور ويعرفان اسماهما ومواضع منازلهما ويألفان موطنهما واذا طردا رجعا واذا أجيعا صبرا واذا اهينا احتملا وللكلب ايضا من الفضائل اتيانه وجه صاحبه ونظره اليه فى عينه وفى وجهه وحبه له ودنوه منه حتي ربما لاعبه ولاعب صبيانه بالعض الذي لا يؤلم ولا يؤثر وله تلك الأنياب التي لو أنشبها فى الشجر لأثرت قال بعض الشعراء

أيها الشانىء الكلاب أصخ لى · منك سمعا ولا تكونن جبسا
ان فى الكلب فاعلمن خصالا · من شريف الفعال يعددن خمسا
حفظ من كان محسنا ووفاء · للذى يتخذه حربا وحرسا
واتباع لرحله واذا ما · صار نطق الشجاع للخوف همسا
وهو عون لنابح من بعيد · مستجيرا بقربه حين أمسا

قال أبو بكر الصديق إن الرجل فى البادية اذا ضل الطريق وهاله الليل نبح نباح الكلاب لتنبح كلاب الحي فيتبع أصواتها حتى يصير الى الحى

وقال اخر

أن قوما رأوك شبها لكلب · لا رأو للظلام صبحا مضيا
انت لا تحفظ الزمام لخلق · وهو يرعى الزمام رعيا وفيا
يشكر النذر (١) من كريم فعال · اخر الدهر لا تراه نسيا

---

(١) الشيء اليسير

وتناديه من مكان بعيد فيوافيك طائما مستحيا
ان سؤلى وبغيتى ومناى أن أراك الغداة كلبا سويا

قد أنشدني أبو عبيدة لبعض الشعراء

يعرج عنه جاره وشقيقه ويرغب فيه كلبه وهو ضاربه

قال ابو عبيدة قيل هذا الشعر فى رجل من اهل البصرة خرج الى الجبانة ينتظر ركابه فاتبعه كلب له فطرد وضربه وكره ان يتبعه ورماه بحجر فادماه فابي الكلب الا ان يتبعه فلما صار الى الموضع وثب به قوم كانت لهم عنده طائلة وكان معه جار له واخ فهربا عنه وتركاه واسلماه فجرح جرحات كثيرة ورمي به في بئر وحثوا عليه بالتراب حتى واروه ولم يشكوا فى موته والكلب مع هذا يهر عليهم وهم يرجمونه فلما انصرفوا أتى الكلب الى رأس البئر فلم يزل يعوي ويبحث بالتراب بمخالبه حتى ظهر رأس صاحبه وفيه نفس يتردد وقد كان اشرف علي التلف ولم يبق فيه الا حشاشة نفسه ووصل اليه الروح فبينما هو كذلك اذ مر اناس فأنكروا مكان الكلب ورأوه كأنه يحفر قبرا فجاؤا فاذا هم بالرجل على تلك الحال فاستخرجوه حيا وحملوه الى اهله فزعم ابو عبيدة أن ذلك الموضع يدعى بئر الكلب وهذا الامر يدل علي وفاء طبعى والف غريزى ومحاباة شديدة وعلى معرفة وصبر وكرم وغناء عجيب ومنفعة تفوق المنافع وحدثني عبد الله بن محمد الكاتب قال حدثني ابى عن محمد ابن خلاد قال قدم رجل على بعض السلاطين وكان معه حاكم ارمينية منصرفا الى منزله فمر في طريقه بمقبرة فاذا بقبر عليه قبة مبنية مكتوب عليها هذا قبر الكلب فمن احب ان

يعلم خبره فليمض الي قرية كذا وكذا فان فيها من يخبره فسال الرجل عن القرية فدلوه عليها فقصدها وسأل اهلها فدلوه علي شيخ فبعث اليه واحضره واذا شيخ قد جاوز المائة سنة فسأله فقال نعم كان فى هذه الناحية ملك عظيم الشأن وكان مشهورا بالنزهة والصيد والسفر وكان له كلب قد رباه وسماه باسم وكان لايفارقه حيث كان فاذا كان وقت غذائه وعشائه اطعمه مما يأكل فخرج يوما الي بعض منتزهاته وقال لبعض غلمانه قل للطباخ يصلح لنا ثريدة لبن فقد اشتهيتها فاصلحوها ومضى الى منتزهاته فوجه الطباخ فجاء بلبن وصنع له ثريدة عظيمة ونسى ان يغطيها بشيء واشتغل بطبخ شيء آخر فخرج من بعض شقوق الغيطان افعى فكرع من ذلك اللبن ومج في الثريدة من سمه والكلب رابض يرى ذلك كله ولو كان له فى الافعى حيلة لمنعها ولكن لاحيلة للكلب فى الافعى والحية وكان عند الملك جارية خرساء زمنا قد رأت ماصنع الافعي ووافى الملك من الصيد في اخر النهار فقال ياغلمان اول ما تقدمون الى الثريدة بين يديه اومات الخرساء اليهم فلم يفهموا ماتقول ونبح الكلب وصاح فلم يلتفتوا اليه والح في الصياح ليعلمهم مراده فيه ثم رمي اليه بما كان يرمي اليه فى كل يوم فلم يقربه ولج فى الصياح فقال لغلمانه نحوه عنا فان له قصة ومديده الي اللبن فلما رآه الكلب تريد ان يأكل وثب الى وسط المائدة داخل فمه في اللبن وكرع منه فسقط ميتا وتناثر لحمه . وبقى الملك متعجبا منه ومن فعله فأومأت الخرساء اليهم فعرفوا

« ٢ — فضل الكلاب »

مرادها بما صنع الكلب فقال الملك لندمائه وحاشيته أن شيئا قد فدانى بنفسه لحقيق بالمكافأة وما يحمله ويدفنه غيرى ودفنه بين أبيه وأمه وبنى عليه قبة وكتب عليها ماقرأت وهذا ما كان من خبره ، أخبرنى أبو العلا بن يوسف القاضي قال حدثني شيخ كان مسنا صدوقا أنه حج سنة من السنين قال وبرزنا أحمالنا الي الياسرية وجلسنا على قراح نتغدى وكلب رابض بجوارنا فرمينا اليه من بعض مانا كل ثم ارتحلنا ونزلنا بنهر الملك فلما قدمنا السفرة اذ الكلب بعينه رابض بجوارنا كاليوم الاول فقلت للغلمان قد تبعنا هذا الكلب وقد وجب حقه علينا فتعهدوه ونفض الغلمان السفرة بين يديه فا كل ولم يزل تابعا لنا من منزل الي منزل على تلك الحال لايقدر أحد أن يقرب جمالنا ولا محاملنا الا صاح ونبح فكنا قد أمنا من سلال الي مكة وعزمنا على الخروج في عمل الى اليمن فكان معنا الى ارض قبا ورجعنا الى مدينة السلام وهو معنا ، ذكر أبو عبد الله عن أبي عبيدة النحوي وأبى اليقظان سحيم بن حفص وأبى الحسن علي بن محمد بن المدايني عن محمد بن حفص بن سلمة بن محارب وقد حدثنابهذا الحديث أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا باسناد ذكره وهو حديث مشهور أن الطاعون الجارف أتى علي اهل دارفلم يشك أحد من أهل المحلة أنه لم يبق فيها صغير ولا كبير وكان قد بقى فى الدار صبى رضيع صغير يحبو ولا يقوم فعمد من بقي من أهل تلك المحلة الى باب الدار فسدوه فلما كان بعد ذلك باشهر تحول اليها بعض ورثة القوم فلما فتح الباب وأفضى الى عرصة الدار اذاهو بصبي يلعب مع جرو كلبة كانت لاصحاب الدار فلما رآها الصبي حبا اليها

فأمكنته من لبنها فعلموا أن الصبي بقي في الدار وصار منسيا واشتد جوعه ورآي جرو الكلبة يرضع فعطف عليها فلما سقته مرة أدامت له وأدام لها الطلب أخبرني على بن محمد قال حدثني بن الحسين بن شداد قال ولاني القسم خلافة أحمد بن ميمون بنيسابور فنزلت في بعض منازلها فوجدت في جواري جنديا من أصحابه يعرف بنسيم كان يرسم تنظيف غلامه واذا كلب له يخرج بخروجه ويدخل بدخوله واذا جلس على بابه قربه وغطاه بدواج كان عليه فسألت الراسي عن محل الغلام وكيف يقنع الامير منه بدخول الكلب عليه ويرضى منه بذلك وليس بكلب صيد قال أبو الوليد سله عن حديثه فأنه يخبرك بشأنه فأحضرت الغلام وسألته عن السبب الذى استحق به هذه المنزلة منه فقال هذا خلصني بعد الله عز وجل من أمر عظيم فاستبشعت هذا القول منه وانكرته عليه فقال لي اسمع حديثه فانك تعذرني كان يصحبني رجل من أهل البصرة يقال له محمد بن بكر لا يفارقني يواكلني ويعاشرني علي النبيذ وغيره منذ سنين فخرجنا أهل الدينور فلما رجعنا وقربنا من منزلنا كان في وسطي هميان فيه جملة دنانير ومعي متاع كثير أخذته من الغنيمة قد وقف عليه باسره فنزلنا الى موضع فاكلنا وشربنا فلما عمل الشراب عمد الي فشد يدي الى رجلي واوثقني كتافا ورمى بي في واد واخذ كل ما معي وتركني ومضى وآيست من الحياة وقعد هذا الكلب معي ثم تركني ومضي فما كان بأسرع من أن وافاني ومعه رغيف فطرحه بين يدي فأكلته ولم أزل أحبو الى موضع فيه ماء فشربت منه ولم يزل الكلب معي باقي ليلي يعوي الى أن أصبحت فحملتني عيناي وفقدت

الكلب فما كان بأسرع من أن وافانى ومعه رغيف فأكلت وفعلت فعلى فى
اليوم الاول فلما كان فى اليوم الثالث غاب عنى فقلت مضى يجيئ بالرغيف فلم
ألبث الا أن جاء ومعه الرغيف فرمي به الي فما استتم أكله الا وابنى على رأسي
يبكي فقال وما تصنع هاهنا وما هي قصتك ونزل فحل كتافى وأخرجني فقلت
له من أين علمت بمكانى ومن دلك على فقال كان الكلب يأتينا في كل يوم
فنطرح له الرغيف علي رسمه فلا يأكله وقد كان معك فانكرنا رجوعه ولست
أنت معه فكان يحمل الرغيف بفيه ولا يذوقه ويخرج ويعد فانكرنا أمره
فأتبعته حتى وقفت عليك فهذا ما كان من خبرى وخبر الكلب فهو عندى
أعظم مقدار من الاهل والقرابة قال ورأيت أثر الكتاف فى يده قد أثر أثرا
قبيحا ، وحدثني أبو عبد الله قال حدثنى أبو الحسين محمد بن الحسين بن شداد
قال قصدت دير مخارق الي عبد الله بن الطبرى النصرانى الذي كان يأتى
بالنزل للمعتضد بالله فسألته احضار وكيلا له يقال له ابراهيم بن داران وطالبته
باحضار الاذلاء لمساحة قرية تعرف بباصيرى السفلى فقال لى ياسيدى قد
وجهت فى ذلك فقلت له أنا على الطريق جالس وما اجتاز بى أحد فقال نى أما
رأيت الكلب الذى كان بين أيدينا قد وجهت به فغلظ ذلك من قوله ونلت
من عرضه وأمرت بما أنا أستغفر الله عز وجل منه فقال ان لم يحضر القوم
الساعة فأنت من دمي فى حل فما مكث بعد هذا القول الا ساعة حتى وافى
القوم مسرعين والكلب بين أيديهم فسألته كيف تحمله الرسالة فقال أشد فى
عنقه رقعة بما أحتاج اليه وأطرحه علي المحجة فيقصد القوم وقد عرفوا الخبر

فيقرؤن الرقعة فيمتثلون ما فيها ، وحدثني لص تائب قال دخلت مدينة قد
ذكروها الى فجعلت أطلب شيئا أسرقه فلم أصب، ووقعت عيني على صيرفي
موسر فما زلت احتال حتى سرقت كيسا له وانسللت فما جزت غير بعيد اذا
بعجوز معها كلب قد وقعت على صدري تبوسني وتلزمني وتقول يابني فديتك
والكلب يبصبص ويلوذ بي ووقف الناس ينظرون الينا وجعلت المرأة تقول
بالله انظروا الي الكلب كيف قد عرفه فعجب الناس من ذلك وشككت أنا في
نفسي وقلت لعلها أرضعتني وأنا لا أعرفها وقالت سر معي الي البيت أقم عندى
فلا تفارقني حتي مضيت معها الى بيتها واذا عندها جماعة احداث يشربون وبين
أيديهم من جميع الفواكه والرياحين فرحبوا بي وقربوني وأجلسوني معهم
ورأيت لهم بزة حسنة فوضعت عيني عليها وجعلت أسقيهم ويشربون وأرفق
بنفسي الى أن ناموا ونام كل من في الدار فقمت وكورت ما عندهم وذهبت
أخرج فوثب على الكلب وثبة الاسد وصاح وجعل يتراجع وينبح الى أن
انتبه من كان نائما فخجلت واستحييت فلما كان النهار فعلوا مثل فعلهم أمس
وفعلت أنا أيضا بهم مثل ذلك وجعلت أوقع الحيلة في أمر الكلب الى الليل
فما أمكنني فيه حيلة فلما ناموا رمت الذي رمته فاذا الكلب قد عارضني مثل
ما عارضني به فجعلت أحتال ثلاث ليال فلما آيست طلبت الخلاص منهم باذنهم
وقلت أتأذنون لى أعزكم الله فاني على وفاز فقالوا الامر الي العجوز فاستأذنتها
فقالت هات ما معك الذى أخذته من الصيرفى وامض حيث شئت ولا تقم
فى هذه المدينة لانه لا يتهيأ لاحد يعمل معى عملا فاخذت الكيس وأخرجتني

ووجدت أنا أيضا مناى أن أسلم من يدها فكان قصار القول أن أطلب منها نفقة فدفعت الي نفقة وخرجت معى حتى أخرجتنى عن المدينة والكلب معها حتي جزت حدود المدينة ووقفت ومضيت والكلب يتبعنى حتي بعدت ثم تراجع ينظر الى ويلتفت وأنا أنظر اليه حتي غاب عنى ، أخبرنى بعض الشيوخ من أهل الجيل قال كنت أنا مع جماعة خارجين إلى اصبهان فلما صرنا الى بعض الطريق مررنا بخان قديم خراب ليس فيه أحد وإذا صوت كلب ينبح واذا حركة شديدة فدخلنا بأجمعنا الخان فاذا نحن برجل من أصحابنا نعرفه من الفيوح كان معه كلب لايفارقه حيث كان واذا بعض المبنجين قد وقع عليه فكان الفيج وطنه فلما رأى ان حيلته ليست تنفذ عليه طرح فى عنقه وترا ليخنقه به فلما رأى الكلب ذلك ثار إلى المبنج فخمش وجهه وعض قفاه وطرح منه قطعة لحم فسقط المبنج مغشيا عليه فخلصنا من عنق صاحبنا الوتر وكان قد أشرف على التلف وقبضنا على المبنج فكتفناه بوتره ودفعناه إلى السلطان ، وحدثنى ابراهيم بن برقان قال كان فى جوارنا رجل من أهل اصبهان يعرف بالخصيب ومعه كلب له جاء به من الجبل فوقع بينه وبين جاره خصومة إلي ن تواثبا فلما رأى الكلب ذلك وثب على الرجل الذى واثب صاحبه فوضع مخالبه فى احد عينيه وعض قفاه حتى رأيت الرجل قد غشي عليه ودماؤه تجرى علي الارض قال بعض من يذم الكلاب الناس ينامون بالليل الذى جعله الله تعالى مسكنا ويتصرفون ويبصرون فى النهار الذى جعله الله عز وجل مسرحا وهم علي ضد ذلك فاحتج من يرد عليه فقال ان سهرهم بالليل ونومهم بالنهار خصلة ملوكية ولو كان غير ذلك كان الملوك به أولي

وانما انتباهها بالليل لان الليل ينتشر فيه اللصوص ويكثر التسلق والنقوب والسرق ممن اذا أفضي الي منزل قوم لم يرض الا بالقتل وركوب السوءة ونهب المال فهي تحرس من هذه وتنبه عليه صاحبه أنشدني بعض الادباء

تاه قلبي مني واين مني قلب　　ان رد السرور ياقوم صعب
شردتني خيانة من صديق　　أنا مستسلم له وهو حرب
مضمر للنفاق والقلب فيه　　مبطن بغضه وباديه حب
قلت يوما له وان مضى منه　　فعال أتى بها أنت كلب
قال للمزح قلت ذا أم لثلب　　قلت للثلب قال مافيه ثلب
شيمة الكلب حفظه لولى　　وعن الحي في دجا الليل ذب
يحفظ الجار للجوار ويمسي　　ساهر المقلتين يحنوه سغب
يرقد النائمون أمنا ويمسي　　خائفاهلكهم يحاكيه صب
وترى الكلب في المهامة غوثا　　ويجيب اللهيف والنار تخبو
وتراه ينابيح الكلب خوفا　　والى الصوت في دجا الليل يحبو
فلماذا انحسته الحظ قل لي　　لم تشن حسنه وما فيه سب

انشدني بعض المدنيين يصف كلبا له بالشدة يقال موق

ياموق لاذقت بوس العيش ياموق　　ولامنيت بشرب فيه ترنيق
ذو هامة كرحي بئر ململمة　　وبرثن فيه للاخوان تخريق
صماته غضب ونبحة كلب　　وعنده سغب مافيه ترفيق
العقر نيته والموت كرته　　مجتاز ساحته بالشر مهروق

والسيف والرمح ادنى منه بادرة والنبل أهون منه والمزاريق
والترك والديلم المحذور بأسهما والزنج من بعدو الروم البطاريق
جماعة القوم ان مروا بساحته فعنده لاجتماع القوم تفريق
أومر جيش عليه كلهم بطل اذا أناخت بهم من خوفه النوق

قلت لصديق لى تعرف فى هذا المعنى شيئا قال نعم وأنشدنى

قال لي أحمد وأحمد كهل ليس فى الناس مثله اثنان
حسن خَلق وحسن خُلق وعلم بارع زانه بنطق لسان
هو فى العين زينة وجمال ولدى الشرب زينة البستان
واذا ما المرء ضاق بالهم صدرا فرج الهم أحمد المرزبان
ياخليلى حفظت فى الكلب شيئا قلت في الذم قال لي عظم شان
قال لى خذ أخى فاظهر مقالا قد حوى فيه من ظريف المعان
فى مديح الكلاب مع ذم قوم فأرانى العيان قبل العيان
قال انى أراه أوفى ذماما من كثير عرفت فى الاخوان
وامين المغيب يلقي بوجه ولقوم من الورى وجهان
شاكرا للقليل غير كفور وكفور الكثير للخلان
حارسا فى الحريم يمنع فى الليـل عن القوم ساهر الاجفان
مثل ليث العرين تلقاه لما حل فى جوف جيشه شبلان
عارف بالجميل يغضى حياء حين تلقاه للفتى عينان
صابر مانع حفوظ ألوف دافع مانع بغير امتنان

الين الخلق معطفا لحميم ولا عدائه كحد السنان

وأرى الناس غير من أنت منهم خلقوا كالذباب والثيران

وممن أفسد الصديق بحرمته فاقام الكلب بنصرته ما أخبرونا عن أبي الحسن المداينى يرفعه عن عمرو بن شمر قال كان للحارث بن صعصعه ندمان لا يفارقهم شديد المحبة لهم فعبث أحدهم بزوجته فراسلها وكان للحارث كلب رباه فخرج الحارث فى بعض منتزهاته ومعه ندماؤه وتخلف عنه ذلك الرجل فلما بعد الحارث عن منزله جاء نديمه الى زوجته فاقام عندها يأكل ويشرب فلما سكرا واضطجعا ورأي الكلب انه قد ثار على بطنها وثب الكلب عليهما فقتلهما فلما رجع الحارث الي منزله ونظر اليهما عرف القصة ووقف ندماؤه على ذلك وانشأ يقول

ومازال يرعي ذمتى ويحوطني ويحفظ عرسى والخليل يخون

فواعجبا للخل يهتك حرمتى ويا عجبا للكلب كيف يصون

قال وهجر من كان يعاشره واتخذ كلبه نديما وصاحبا فتحدث به العرب وأنشأ يقول

فللكلب خير من خليل يخونني وينكح عرسى بعد وقت رحيلي

سأجعل كلبي ما حييت منادمي وامنحه ودى وصفو خليلي

وذكر ابن داب قال كان للحسن بن مالك الغنوى أخوان وندمان فافسد بعضهم محرما له وكان له على باب داره كلب قد رباه فجاء الرجل يوما الى منزل الحسن فدخل الى امرأته فقالت له قد بعد فهل لك في جلسة يسر

بعضنا ببعض فيها فقال نعم فأ كلاوشربا ووقع عليها فلما علاها وثب الكلب عليهما فقتلهما فلما جاء الحسن ورآهما على تلك الحال تبين مافعلا فانشأ يقول

قداضحي خليلي بعد صفو مودتى ... صريعا بدار الذل اسلمه الغدر
يطيء حرمتى بعد الاخاء وخانني ... فبادره كلبي وقد ضمه القبر

قال الاصمعي كان لمالك بن الوليد أصدقاء لايفارقهم ولا يصبر عنهم فارسل أحدهم الي زوجته فاجابته وجاء ليلة واستخفي في بعض دور مالك عند امرأته ومالك لايعلم بشيء من ذلك فلما أخذ فى شأنها وثب كلب لمالك عليهما فقتلهما ومالك لايعقل من السكر فلما أفاق وقف عليهما وأنشأ يقول

كل كلب حفظته لك أرعى ... مابقى لو بقى ليوم التناد
من خليل يخون فى النفس والما ... ل وفى العرس بعد صفو الوداد

(وقال اخر)

واذاقلت ويك للكلب إخسأ ... لحظتني عيناك لحظة تهمة
أترى انى حسبتك كلبا ... أنت عنه من أبعد الناس همة

ذكروا أن صعصعة بن خالد كان له صديق لايفارقه فجاء يوما فراه قتيلا على فراشه مع امرأته فأيقن بخيانتهما فقال

الغدر شيمة كل ندل سفلة ... والكلب يحفظ عهدك الدهرا
فدع اللئام وكن لكلبك حافظا ... فلتأمنن الغدر والمكرا

وحدثنى بعض أصدقائي قال خرجت ليلة وأنا سكران فقصدت بعض البساتين لامر من الامور ومعى كلبان كنت ربيتهما ومعي عصا فحملتني عينى فاذا

الكلبان ينبحان ويصيحان فانتبهت بصياحهما فلم أر شيئا انكره فضربتهما وطردتهما ونمت ثم عاودا الصياح والنباح فانبهاني فلم أر شيئا أنكره أيضا فوثبت اليهما وطردتهما فما أحسست الا وقد سقطا على يحركاني بأيديهما وأرجلهما كما يحرك اليقظان النائم لامر هائل فوثبت فاذا باسود سائح قد قرب مني فوثبت اليه فقتلته وانصرفت الى منزلي فكان الكلبان بعد الله عز وجل سببا لخلاصي ويروى انه كان لميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كلب يقال له مسمار وكانت اذا حجت خرجت به معها فليس يطمع أحد بالقرب من رحلها مع مسمار فاذا رجعت جعلته في بني جديله وانفقت عليه فلما مات قيل لها مات مسمار فبكت وقالت فجعت بمسمار وحدثني ابو محمد عبد الرحمن بن عبد الله قال حدثنا يحي بن أيوب عن يونس بن زيد عن أبي رافع قال كانت للزهرى كلبة صيد فكان يطلب لها الفحول يلتمس نسلها قال وكان رجل يشرب عند قوم فرآى منهم رجلا يلاحظ امرأته فقال

كل هنيأ وما شربت مريئاً ثم قم صاغرا فغير كريم

لا احب النديم يومض بالعين اذ ماخلى بعرس النديم

وحدثني صديق لي أنه كان له صديق ماتت امرأته وخلفت صبيا وكان له كلب قد رباه فترك يوما ولده في الدار مع الكلب وخرج لبعض الحوائج وعاد بعد ساعة فرأي الكلب في الدهليز وهو ملوث بالدم وجهه وبوزه ذلك فظن الرجل انه قد قتل ابنه واكله فعمد الي الكلب فقتله قبل أن يدخل الدار ثم دخل الدار فوجد الصبى نائما في مهده والي جانبه بقية أفعى قد قتله الكلب وأكل بعضه فندم الرجل على قتله أشد ندامة ودفن الكلب والله أعلم وليكن هذا

اخر ما أردنا ايراده فى الرسالة والحمد لله أولا واخرا وباطنا وظاهرا
وصلى الله على سيدنا محمد وعلي اله وصحبه وسلم

﴿تم بحمد الله وعونه﴾

الخاتمة

خصال الكلب المحمودة

تنسب للامام الحسن البصري

قال الامام الحسن البصرى رضي الله تبارك وتعالي عنه ، في الكلب عشر خصال محمودة وكذلك ينبغى أن تكون فى كل مؤمن . الاولى أن لا يزال خائفا وذلك لعله من دأب الصالحين . الثانية انه ليس له مكان يعرف وذلك من علامات المتوكلين . الثالثة انه لا ينام من الليل الا قليلا وذلك من صفات المحسنين . الرابعة انه اذا مات لا يكون له ميراث وذلك من أخلاق الزاهدين الخامسة أنه لا يترك صاحبه ولو جفاه وضربه وذلك من صفات المريدين . السادسة انه يرضي من الدنيا بادنى مكان وذلك من علامات المتواضعين . السابعة انه اذا طرده أحد من مكان وانصرف عنه عاد اليه وذلك من علامات الراضين . الثامنة انه اذا ضرب وطرد ثم دعى أجاب بلا حقد وذلك من صفات الخاضعين . التاسعه انه اذا حضر شيء للأكل جلس من بعيد وذلك من صفات المساكين . العاشرة انه اذا رحل من مكان لا يرحل ومعه شيء يلتفت اليه وذلك من صفات المتجردين

وفاء الكلاب

للكاتب الاجتماعي

رمزى نظيم

أصبح الغدر لابن آدم دينا ولـه فيه مذهب وكتاب
وعجيب أن تعرف الناس بالغدر .. وتختص بالوفاء الكلاب

شارك الناس كثير من أنواع الحيوان فى صفاتهم وطبائعهم ، فاشتهر الاسد بالحياء ، والثعلب بالتحيل والقرد بالتقليد ، والهر بالتلصص ، والذئب بالحرص والكلب بالوفاء وهكذا — ووفاء الكلاب لكل من أحسن اليه ولو مرة فى حياته — وخصيصا لمن يكرم عشرته — مشتهر بين الناس ؟ والحكاية التى أقصها تمثل أرهب صور الوفاء وأجملها وقعا من النفوس

حدثنى صديقي فقال — ان فى هيكل (الكرنك) الفخم ، وبين تلك تلك الآثار الخالدة بصعيد مصر ، يسكن الآن رمز من الثعابين والحيات ، تروح وتغدو على أعين حراس الآثار وتنظر اليهم اذا مرت بهم نظرات من تمر من طريق مخوف ، ولكنه اعتاده فاطمأن اليه ، وأبقى على شيء من الحذر عدة للطوارىء

وكأن تلك الحيات وهي تدل فى زحفها تشعر بأنها نزلت منازل الفراعنة الاقدمين واحتلت هياكلهم العظيمة التى أودعوها مهارة صناعهم وبراعة مهندسيهم ، وقد غرر بها أنها تستطيع أن تنفث سمومها القتالة في وجه من يناوئها العداء ، ويحاول جلاءها عن منازلها المقدسة

ورأى أحد حراس الهيكل (وكان حديث العهد بالحراسة) ثعبانا هائلا فوق أحد الشرفات فسدد اليه النار ، فلحظه الثعبان وسرعان ماحاد عنها ؟ وأخطأته الرمية ، وانصرف الحارث فى المساء الى سكنه بجوار الهيكل ، ورد عليه الباب ولم يكن يؤنسه فى وحشته بالليل غير كلب وفى ربّاه صغير فلزمه لزوم الصديق الامين ، وكان كلما رقد سيده فى فراشه ، يرقد هو تحت سريره ، مستيقظا لكل حركة غريبة تحدث فى الغرفة ، وتكدر صفاء سكينتها

وفى تلك الليلة ، نام الحارس نوماً عميقاً ، وسمع الكلب حركة غريبة تحت باب الحجرة ، فأرسل ببصره الحاد فوجد ثعباناً يزحف اليها ، فأخذ ينبح نبحاً هادئاً لطيفاً لايقاظ سيده بغير أن يزعجه ، وتلك نهاية الوداعة والحنو ، ولكن سيده أثرت فيه متاعب النهار ، ولو خر فوق رأسه السقف لآثران يذهب الى الآخرة على ان يستيقظ من نومه الحلو وراحته الناعمة

ودنا الثعبان من سرير الحارس يريد الانتقام منه ، فوقف الكلب فى سبيله وبصبص بذنبه ، ورفع الثعبان رأسه ، والتهبت عيناهما بنار الحقد وتطاير شرر الغضب منهما ، ونشب العراك بينهما ، فلدغه الثعبان ، وانطوى حول جسده حلقات متصلة وانشب الكلب انيابه فى جسده ، ولم يشأ أن يتركه ؛ مخافة ان يموت قبله فيغدر الثعبان بسيده ، ثم أخذ يودع الحياة وينظر الي الحارس نظرات حنو وانعطاف ، وهو راقد في سريره كأنه يقول له نم مطمئناً واقطف ازاهير احلامك المفرحة ، فقد انتقمت لك ، وذهبت فداءك ، ثم لمع نور فى سماء الغرفة هو سر حياتهما وخر الاثنان صريعين ، وأبرد الموت

حرارة الانتقام منهما وضم بينهما كانهما محبان معتنقان

واستيقظ الحارس فى الصباح ، فوجدهما على تلك الصورة الرهيبة ، ووجدا عينا كلبه المسكين متجهتين الي سريره جامدتين فى محجريهما ، ولم يعد يلمع فيهما سناء ذلك الحب الطاهر ، ونور ذلك الاخلاص المبين وعرف انه هذا الثعبان هو الذى أطلق عليه غدارته بالأمس ، فانهلت دمعت شكر وأسف حارة علي جثة كلبه الوفى الصريع ، فكانت (كوسام الشرف) الذى تعلقه الحكومات على صدر الجندي الشجاع الذي يظهر بلاء فى ساحة القتال ، ويروح شهيداً ، ولم يستنكف الحارس ان تقدم فزود (كلبه الوفي) بقبلة بين عينيه

وشهد كثير من الناس صورة ذلك الصراع العجيب ، فضربوه مثلا (للوفاء وحب الانتقام)

(وقال أحمد افندي محفوظ الشاعر يمدح كلبا)

تماض الوفاء وعز فى الانسان ... وأراه بين طبائع الحيوان
فالكلب يحمل للصديق مودة ... بيضاء يحفظها مدى الأزمان
لا ينمحي عند الشدائد حلوها ... أو تنتهي بطوارق الحدثان
سيان فى القصر المشيد وفاؤها ... أو بين متربة بدار هوان

﴿الكلب فى نظر الفقهاء﴾

الكلاب كلها نجسة المعلمة وغيرها الصغير والكبير . وبه قال الاوزاعي وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل واسحاق وأبو ثور وأبو عبيدة ولا فرق بين الكلب الماذون فى اقتنائه وغيره ولا بين كلب البدوي والحضري

وقال الزهرى ومالك بن أنس وداود الظاهرى انه طاهر وانما يغسل الاناء من ولوغه تعبدا

ويحكى هذا أيضا عن الحسن البصرى وعروة بن الزبير محتجين بقوله تعالى — فكلوا مما أمسكن عليكم — ولم يذكر غسل موضع امساكها . وبحد ابن عمر (قال كانت الكلاب تقبل وتدبر فى مسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم) وتبول فلم يكونوا يرشون شيئا من ذلك ذكره البخاري فى صحيحه

ولكن الحاكمين بنجاسة الكلب قالوا لعل حديث ابن عمر كان قبل الامر بالغسل من ولوغ الكلب أو أن بولها خفى مكانه فمن تيقنه غسله والله أعلم

(تم طبع هذا الكتاب بعون الملك الوهاب وذلك (بمطبعة محمود توفيق بمصر) فى شهر القعدة سنة ١٣٤١ هجرية
علي صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية آمين

